الأَديبْ و المُفَكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
عهد الله

الحلقة السادسة

مقدمة البرنامج.....

مؤثرات.. ضجة طلاب في قاعة وأحاديث غير مفهومة يعقبها طرقات على طاولة..

مساعد: " بصوت مرتفع " ألا تكفون عن الحوار أيها السادة؟

تخف الضجة شيئاً فشيئاً...

خالد: " يرفع صوته " جاء يا اخوان من يحكم بيننا بالحق.

تزول الضجة.....

مساعد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أصوات: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

مساعد: ألا ترون أيها الأبناء أنكم بمثل هذه المحاورات الغريبة تضيعون الفائدة منها؟

خالد: هكذا يكون الوضع يا أستاذ مساعد حين لا ينتظمنا مشرفٌ يفصل في كل خلاف.

مساعد: وهل هناك خلاف بينكم؟

خالد: بلى يا أستاذ مساعد؟

مساعد: فهل تقول لي فيمَ اختلفتم؟

خالد: هناك من يقول أن النماذج التي تقدمها لنا تتعب الناس اليوم. لأن تقليدها والسير على أثرها أمران عسيران جداً.

مساعد: وهل أنتم متفقون على هذا الرأي؟

خالد: الأكثرون يقولون هذا القول بينما يعارض عدد آخر وجهة النظر هذه ويؤكدون أن العهد الذي عهد به الله إلى عباده لا يبلغ أغراضه إلا بهذا النوع من النماذج البشرية العالية. فماذا تقول أنت يا أستاذ مساعد؟

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

مساعد: الواقع أيها الأبناء أن الفضل ليس موقوفاً على عصر دون عصر.. ولا هو حكر لجيل دون جيل.. ولو كان الأمر كذلك لكانت الدعوة إلى الله عبثاً من العبث لا سيما وأن بعض الناس يزعم أن المتقدم لم يترك شيئا للمتأخر..

خالد: لكن كل شيء في عصورنا المتأخرة يدل على صحة هذا الرأي.

مساعد: ذلك لأن الناس يا خالد قد ابتدعوا وهماً . ثم نسوا أنهم ابتدعوه فصدقوه ولم يقبلوا بديلاً عنه.

خالد: فما هو هذا الوهم الذي ابتدعه الناس ثم صدقوه؟

مساعد: لقد وهم بعض أسلافنا المتأخرين أن بلوغ ما بلغه المتقدمين من المعرفة والإبداع أمر مستحيل. دفعهم إلى ذلك شعور بالعجز وخوف من الجديد وتردد أمام الفكر المستقل. كانوا يريدون السلامة حتى في أتفه الأمور فاقتصروا على التقليد بل اعتبروا التقليد أمراً مقدساً وأحاطوا من يقلدونهم بهالة من المهابة والجلال.

خالد: هذا بعض ما يجب للعالم عند الناس.

مساعد: وهل هناك يا خالد من هو أحق من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمهابة والجلال؟ ومع ذلك فقد كان يشجع من حوله على محاورته ومناقشته في غير ما أمر الله به ونهى عنه في وحيه. ولا أطيل الحديث هنا عن إسرافه عليه السلام في التواضع. إنما أقول لكم المتقدّمون كالمتأخرين كلهم مسلمون. ولكل منهم حقه في الاجتهاد والإبداع حين تتوفر له أسبابهما. وإذا كان الله قد خلق لنا عقلاً ومنحنا حق التفكير والنظر والقياس فلأنه يعلم عز وجل بأن حاجتنا إلى هذا كله مستمرة استمرار الحياة قائمة قيام هذه الدنيا.

خالد: فأين نجد العالم الذي يرتفع إلى مستوى رجال كالشافعي ومالك بن أنس وأبي حنيفة النعمان وجعفر الصادق وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل وغيرهم؟

مساعد: نحن نفتقدهم يا خالد حين تفتقد الجرأة والتصميم والصبر بسبب الوهم الذي ابتدعناه. إن أهم ما نتعلمه من أولئك الأسلاف الذين فكروا لعصورهم فأحسنوا التفكير هو أن نحترم عقولنا فنفكر لعصورنا ونحسن التفكير مستضيئين بالرسالة التي استضاؤا بها من قبل. ولو صح ما زعمه الواهمون لما تعاقبت أجيال العلماء والمفكرين قرناً بعد قرن. فلما انتشر هذا الوهم سدت أبواب المعرفة وضاقت طريق الناس إلى الحرية المسؤولة.

خالد: زدنا يا أستاذ مساعد.

مساعد: حسن جداً .. أيها الأبناء ما دام أن القرآن بين أيدينا وأن السنة الصحيحة تحت تصرفنا فنحن جديرون بالعمل بالعهد الذي عهد به إلينا وهو التمسك بحبل الإيمان والتعلق بحقنا في الاجتهاد والإبداع مع توفر الكفاءة.. وما دام أننا بصدد الحديث عن النماذج البشرية الكريمة فإن من الأفضل أن نتحدث اليوم وغداً

وبعد غد عن آخرين وآخرين من كبار العلماء المبدعين الذين نجد فيهم نماذج للصدق في الإيمان والسعة في المعرفة والجرأة في التفكير..

خالد: فمن هو الذي اخترته لنا لهذا اليوم؟

مساعد: إنه أبو الحارث الإمام الليث بن سعد بن عبد الرحمن رضي الله عنه.

خالد: الملاحظ أن هذا الاسم قد تردد في لقاءات سابقة أكثر من مرة لكننا لا نرى صاحبه معروفا بين كبار الفقهاء المجتهدين؟

مساعد: السبب نجده في تعليقات بعض العلماء وفي مقدمتهم الإمام الشافعي نفسه حين قال: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به. فلم يدوّنوا فقهه كما دون أصحاب مالك فقه مالك..

نقلة موسيقية.....

هارون: ماذا وراءك يا سراج؟

سراج: الليث بن سعد يلتمس الإذن بالمثول بين يدي أمير المؤمنين.

هارون: حدثني عنه؟

سراج: سمعت يا مولاي أخباراً كثيرة حوله. منها ما رواه الحسن بن سعيد قال: خرجنا مع الليث بن سعد إلى الاسكندرية ومعه ثلاث سفن: سفينة فيها مطبخه وسفينة فيها عياله وسفينة فيها أضيافه. فقلنا: يا سيدي إنا نسمع منك أحاديث ليست في كتبك. فقال: وهل كل ما في صدري هو في كتبي؟ لو وضعت ما في صدري في كتبي ما وسعته هذه السفينة.

هارون: اذاً هذا يعني أننا سنجد في علمه ما يخرجنا من ورطة اليمين.

سراج: أعتقد ذلك يا مولاي لا سيما وأن الكبار من الفقهاء يشهدون له بالعلم منهم يحيى بن بكير الذي يقول: ما رأيت فيمن رأيت مثل الليث وما رأيت أكمل منه. هو فقيه البلد، عربي اللسان، يحسن القرآن والحديث والنحو والشعر بل هو أفقه من مالك لكن مالكا صاحب حظوة.

هارون: فحدثني عن جوانب أخرى من حياته؟

سراج: لقد لاحظت يا أمير المؤمنين أن فيه مروءة وكرم أخلاق مع زهد وقناعة ومهابة كبيرة في قلوب الناس.

هارون: هل تروي لي بعض ما عرفت عن هذه الصفات فإني أحب أن أعرفه جيدا قبل أن أستمع إليه.

سراج: لقد أخبرني رجل صادق أن رجلاً من أهل مصر نودي على داره التي صودرت بسبب دين ركبه فبيعت لوكيل الليث بن سعد بأربعة آلاف درهم. فلما ذهب الوكيل لاستلام الدار وجد فيها أيتاماً وأسرة مهدّدة

بالتشرد. فقالوا له: بالله عليك اتركنا إلى الليل حتى ننظر خربة نبيت فيها. فتركهم وأخبر الليث بالقصة. فبكى الليث وقال له: عُد إليهم وقل لهم: الدار لكم ولكم نفقة عيشكم في كل يوم.

هارون: هذا رجل كريم حقا.

سراج: وقد رأيته بعيني يتصدق في كل صلاة على مائة مسكين.

هارون: لكن من أين له هذه الأموال؟

سراج: لقد قيل لي أنه ورث عن أبيه دوراً ومزارع تدر عليه في كل عام مائة ألف دينار ومع ذلك فلم تستحق عليه الزكاة لأنه لا يستبقي منها شيئا لنفسه.

هارون: قد والله عظم شأنه في نفسي.

سراج: هذا وقد علمت أنه ما دام في مصر فإن له في كل يوم أربعة مجالس. مجلس لحوائج السلطان ومجلس لأصحاب الحديث ومجلس لأصحاب المسائل ومجلس لحوائج الناس. وهل أنبئك بما هو أكثر من ذلك يا أمير المؤمنين؟

هارون: كلا يا سراج يكفيني ما سمعت. فأذن له بالدخول.

نقلة موسيقية.....

الليث: " بصوت مرتفع " السلام على أمير المؤمنين.

هارون: وعليك السلام ورحمة الله يا أبا الحارث.

الليث: لقد قيل لي يا أمير المؤمنين أنك طلبتني لحاجة.

هارون: بلى يا أبا الحارث لقد جرى بيني وبين زوجتي كلام صدر عني على أثره قولي لها: أنت طالق أن لم أكن من أهل الجنة. وقد سمعت أقوال الكثير من الفقهاء فلم أجد الفتوى التي تقنعني وتطمئن نفسي.

الليث: " فترة صمت " ألا يدنيني أمير المؤمنين منه؟

هارون: صدقت إذن مني كما تشاء.

الليث: " يخفض صوته قليلا " أتكلم وأنا آمن.

هارون: نعم.. فقل ما عندك.

الليث: مُر بإحضار مصحف.

هارون: هات المصحف يا سراج. " فترة صمت " هذا هو المصحف.

الليث: افتح على سورة الرحمن.

هارون: " يتصفح كتاب الله " هذه سورة الرحمن. فماذا بعد؟

الليث: تتلو يا أمير المؤمنين بصوت مرتفع ابتداء من قوله تعالى: هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (الرحمن:43).

هارون: " يتردد قليلا " لكن لماذا من هنا؟

الليث: اتل يا أمير المؤمنين.

هارون: يتلو " هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ. يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ "..

الليث: " يقاطعه " أمسك يا أمير المؤمنين.

هارون: ولماذا أمسك؟.

الليث: قل: والله.

هارون: " في حيرة " ما هذا يا أبا الحارث؟

الليث: يا أمير المؤمنين لا تغضب فالشرط أملك.

هارون: " يقول ": والله.

الليث: إني أخاف مقام ربي.

هارون: " يردد" إني أخاف مقام ربي.

الليث: حسن.. فهي جنتان لا جنة واحدة. فقد صدقت يمينك فلا تطلق امرأتك منك.

هارون: في فرح ظاهر.. أحسنت أبا الحارث. أحسنت وأجدت. فقد والله سللتني منها كما تسل الشعرة من العجين. الآن أجدني مطمئناً في البقاء الى جانب زوجتي. " يلتفت إلى سراج " يا سراج.

سراج: نعم يا أمير المؤمنين.

هارون: اكتب إلى أمير مصر أن يأمر لليث بن سعد بإقطاع الجيزة وألا يقضي في أمر إلا بمشورته.

سراج: أفعل إن شاء الله يا أمير المؤمنين.

هارون: أما أنت يا أبا الحارث فقد وجب لك علينا حق التكريم والإجازة.

الليث: يكفيني أنني قمت بما يرضي الله.

هارون: لقد أمرنا لك بخمسة آلاف دينار.

الليث: ألا يرى أمير المؤمنين أن يدفعها إلى من هم أحوج مني إليها؟ فإني يكفيني رضاه وحسب.

هارون: حسن يا أبا الحارث.. قل لي قبل أن تغادر هذا المكان. ما هو في رأيك صلاح بلدكم؟

الليث: صلاح بلدنا يا أمير المؤمنين في إجراء النيل وفي صلاح أميرها. فالكدر لا يأتي إلا من رأس العين فإذا صفا رأس العين صفت العين.

هارون: صدقت أبا الحارث. فإنا عاملون بنصيحتك إن شاء الله. عد إلى بلدك يرحمنا ويرحمك الله..